رؤية فاحصـــــــة

[فى قضية نشأة اللغة]

بقلم الدكتور/ ربيع محمد مصطفى صادومه
مدرس بالكلية بقسم أصول اللغة

نقاط البحث:

١- تقديم

٢- محاولات العلماء قديما وحديثا

٣- ملاحظات خاصه على آراء الباحثين

٤- ملاحظات عامه على آراء هذه القضية

٥- اللغة الأنسانية الأولى

٦- رأى الباحث

٧- مراجع البحث

٨- الهوامـــش

تقديم

إن البدايات التى يحاول الباحثون الوقوف عليها لهى أصعب شىء تذليلا ، وتحتاج من بذل الجهد أضعاف ما يبذل فى سواها ، وتتضاعف الصعوبة أو تتكاثف إذا حاولها الباحث فى مثل اللغة ، وقد تخف هذه الصعوبة أو تتلاشى فى أمور أخرى نظراً لما يمتلكه الباحث من أثريات أو حفريات تسهل عليه أمر الكشف على البداية أو على الأقل الاقتراب منها.

أما الأمر بالنسبة للغة فالصعوبة جاثمة ، وأمر الوقوف على نقطة إنطلاقها لاتزال العقبات تلو العقبات تحول دونها ، ذلك لأن مادتها التى هى أول خيوط الباحث هو الصوت ، والصوت مثله فى الواقع كمثل الهشيم تذروه الرياح ، إذ يتلاشى إذ بان حدوثه ، وينتهى فور مثوله ، وقد قطعت البشرية قروناً وقروناً لم تقدر فيها أن تمسك بالصوت أن يتلاشى ، إذ الصوت هو من المواد التى لا يجوز أو لا يمكن تعبئتها وتخزينها عبر هذه القرون المتطاوله ، فلم يتح ذلك للبشرية إلا فى قرنها هذا الأخير - القرن العشرين الميلادى والموافق للقرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين - فقد بذل العلماء الغربيون جهوداً مضنيه ، وقطعوا مسافات شاقة حتى قدروا أن يصلوا إلى ما أسموه تسجيل الصوت: SOUND-RECORDING وبدأ تسجيله على إسطوانات "الفونوغراف ، ثم الجراموفون" ثم شرائط التسجيل على إختلاف أنواعها وأحجامها.

وقد يرى راء أن النقوش التى عثر عليها فى المناطق الأثرية ربما توقف على بداية اللغة ، أو تساعد فى الحصول على معلومات مفيدة تزيل بعض الغياهب عن قضية النشأة ، ولكن هذه النقوش رغم

قدمها لم تواكب اللغة البشرية ، إذ الكتابة عامه مهما أفادت وساعدت فإنها على حد تعبير ابن خلدون ثانى رتبة من الدلالة اللغوية [١]

بالإضافة إلى أن أقدم النقوش لم تكن إلا صور للتدليل على صور فى الأعم محسوسة وقلما كانت للتدليل على فكر مجرد إلا فى مراحل متقدمه من تاريخها ، وهذا واضح من النقوش المصرية القديمة المعروفة "بالهيروغليفية"

ولو افترضنا أن أقدم النقوش واكبت اللغة المنطوقة فإن المشكلة برمتها ما برحت قائمة ، إذ أننا لا نهتدى بها أو على الأصح لن نهتدى إلى كيف نطقت هذه النقوش فى هذا التاريخ ، وحتى إلى أن تطورت فاستقطعت منها الرموز أو بعض الرموز الكتابية.

فالصحيح أن هذه النقوش تساعد بجلاء قضية نشأة الكتابة ، وتوقف الباحثين على بدايتها ومسيرة تطورها ، تماما كما أرخ علماء الإخراج لنشأة الخط العربى مثلا فيما بين نقش النمارة إلى نقش زيد وحران ، أى فيما بين القرن الرابع والخامس للميلاد بعد تحرره من هيئته النبطية.[٢]

وأما أن توقف هذه النقوش على بدايات نشأة اللغة فأمر بعيد أو قل هو ضرب من المستحيل ، فمنذ كان الإنسان كانت اللغة ، وبداية نشأة اللغة هى نفسها بداية - الحيوان الناطق - الإنسان - فبأى لغة نطق؟ أو أى سبيل أوصلها إليها؟ هذا ما لاسبيل إليه الآن ، وأى محاولة لذلك محكوم عليها بالإخفاق سلفا ، لأنه لا دليل قاطع بذلك ، ولا ضرب من الظن أو التخمين.

لذلك رفض البحث العلمى كل ادعاء ادعاه بعض الأمم: أن لغة الإنسان الأول كانت العربية أو العبرية أو السيريانية أو الآرية . . . [٣] ، لأن ذلك إلى التخمين أقرب منه إلى مجرد الوهم العلمى ، أملاه العواطف وحث عليه التعصب.

وبمثل هذا الرفض نرفض أيضا ما ذهب إليه بعض الباحثين - وادعى أن هذا إجماع المحدثين - أن مرحلة النطق عند الإنسان متأخرة إذا قيست بتطوره فوق سطح البسيطة ، ويرجحون أن الإنسان الأول قد حاول النطق فى عصوره الحجرية ، وكان الدافع الأول لهذا النطق مجرد المصادفة . . . [٤] ، فواضح على هذا الإجماع أيضا مسحة التخمين ، لأننا نرى أن من البداهة أن الإنسان الأول الذى لم يسمه احد من الباحثين المحدثين - وهو عندنا نحن المسلمين آدم عليه السلام أبو البشرية - لم يبت ليلة واحدة على الأرض إلا وبين جلده ولحمه وعلى شفته لغتة ، وإن أدنى ما نستشهد به لهذا ، هو وجود الجهاز النطقى مركبا ذا وظيفتين فى جسم الإنسان الوظيفة الأولى "بيولوجية" أو حيوية ، وتتصل بحياة الجسم ومنفعته كالأكل والقضم والتنفس والشم والذوق . . وما إلى ذلك.

الوظفة الثانية "فسيولوجية" أو نفسية ، وتتصل بالتعبير اللغوى عن حاجة الجسم ومنفعته أيضا منفعة لاتقل أهمية عن الوظيفة الأولى ، وترجيح اهتدائه إلى وظيفتة الأعضاء الأولى من أول وهلة دون الثانية لا دليل عليه ، بل المشاهد أمامنا الآن هو العكس ، فالطفل حين يولد يستهل صارخا تلقائيا قبل أن يهتدى إلى مصدر غذائه فى صدر أمه ، ولذا لا نوافق موافقة كاملة على قول الباحثين: "أن الوظيفة اللغوية لهذه الأعضاء التى تقوم بعملية النطق وظيفة ثانوية ، وإطلاقنا عليها أعضاء النطق مجاز أو فيه شىء من التجوز.[٥]

والمجاز معروف ، وهو استعمال الشىء "الكلمة" فى غير ما وضعت له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى.[٦] ، أى أن المعنى الحقيقى عند المجاز تستره القرينة المانعة فلا مجال له حينئذ ، فما القرينة المانعة؟ وقبل ذلك ما العلاقة الجامعة بين الأكل والنطق مثلا؟

فمن الغريب حقا أن يقال بالمجاز أو التجوز بين وظيفتين لاتمنع إحداهما الأخرى فى الواقع ونفس الأمر ، وأغرب منه أن يجمع الباحثون من المحدثين أن الدافعغ الأول لنطق الإنسان جاء مصادفة ، فى الوقت الذى يشاهد فيه الطيور والدواب قد استخدمت جهازها الصوتى بالا تعمل أو قل بالا تفكير فى نظرنا على الأقل ، فهذا الإجماع يصور الإنسان بأنه كان أبله ، وكانت الطيور والدواب أنبه منه ، ومثل هذا الإجماع قريب مما قال به "داروين" فى شرح نظرية التطور ، وكأن صداها ما زال ماثلا فى الأذهان ، وكأن التساؤل القديم ما انفك شاغلا للوجدان: هل الإنسان قرد أم مالاك؟ هل الإنسان مخلوق معتنى به أم متطور انسلخ من فصيلة أخرى؟

ورأينا: أن الإنسان مخلوق معتنى به ، ولو قرلأنا قول الله سبحانه وتعالى: "-ممتنا على الإنسان- ألم نجعل له عينين، ولساناً وشفتين". [٧] لوضح لك ذلك وتبين لنا أثناء هذا الوضوح أنه من المستحيل أن يمتن الله بهذا على جيل من البشر دون جيل ، كما يتبين لنا ما يهدف إليه هذا النص من وراء ذكر هذه الجوارح.

إلى هنا وآتى إلى ما أردت أن آتى إليه محاولا رؤية توضيح هذه القضية التى طال الحديث فيها واختلف الباحثون قديما وحديثا معتذراً إلى الجمعية اللغوية الفرنسية التى أسدلت الستار على هذه القضية ، ورفضت أن يدرج فى أعمالها الدورية أى بحث يتصل بها ، لأن البحث فيها بحث "ميتافيزيقى" أو فيما وراء الطبيعة ، والبحث فيها لا يقدم للحقيقة العلمية شيأ ذا بال ، أو ذا خطورة تستبق إليها خواطر العالمين.[٨]

ولكن أستعير عبارة الفيلسوف الشهير: "جان جاك روسو" وقد كان بصدد محاولته هو أيضا فى البحث عن أصل اللغات قال: "فلنعمل على أن نساير فى بحوثنا نظام الطبيعة ذاته ، وإنى لمقدم هنا على

استطراد طويل فى موضوع قد أكل عليه الدهر وشرب حتى صار مبتذلا ، ومع ذلك فلا بد من الرجوع إليه دائما حتى تقف على أصل المؤسسات الإنسانية .[٩]

وقبل إدلائى بدلوى فى هذا الموضوع الشاق فلا بد من المرور سريعا على المحاولات أو بالاصح على بعض المحاولات السابقة والاحقة بإيجاز كبير ، لنلخص منها إلى رؤيتى الخاصة ، مؤيداً ذلك بما استبان لى من أدلة .

أولا: محاولات العلماء قديما وحديثا.

نقل لنا الإمام السيوطى فى كتابه المزهر مجموعة من محاولات علماء العربية القدامى وأدلتها ورود العلماء على بعضها ، مما يتبين لنا أن محاولة واحدة منها لم يتفق عليها العلماء ، وأولى هذه المحاولات كانت رأى القائلين بالتوقيف ، وعليه أكد أبو الحسين أحمد بن فارس ، وأبو على الفارسى ، فقد رأيا أن اللغة من عند الله ، ودليل ذلك قول الله تعالى: "وعلم آدم الأسماء كلها." [١٠]
وقد ذهب إلى هذا الرأى فى العصور القديمة اليلسوف اليونانى "هيراكليت" وفى العصور الحديثة الفيلسوفان الفرنسيان "فرانسوا لامى" فى كتابه: فن الكلام ، "ودبولاند" فى كتابه التشريع القديم.[١١]

والمحاولة الثانية هى التى يرى أصحابها أن اللغة لاتكون وحيا ، وذهبوا إلى أن أصل اللغة لابد فيه من المواضعة ، وفسر الفيلسوف الكبير ابن جنى المواضعة: بأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعد فيحتاجوا إلى الإنابة عن الأشياء المعلومات فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظا إذا ذكر عرف به ما مسماه ، ليمتاز عن غيره وليغنى بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين . . . [١٢]

وكأن ابن جنى بثاقب فكره يقرأ الغيب ويدل منذ هذا الزمن البعيد على بعض ما تصنعه المجامع اللغوية فى عصرنا الحاضر ، ولنا أن نقول: إن المواضعة التى شرحها فيلسوف اللغة ابن جنى سابقة لأوانها ، ولذلك أرى أن رد ابن فارس على القائلين بالمواضعة والاصطلاح جاء ردا مقنعا فى هذا الوقت حين قال: "إنه لم يبلغنا أن قوما من العرب فى

زمان يقارب زماننا أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه ، فكنا نستدل بذلك على اصطلاح قد كان قبلهم [١٣]

وقد ذهب إلى هذا الرأى فى العصور القديمة الفيلسوف اليونانى "ديموكريت" وفى العصور الوسطى كثير من الباحثين فى فقه العربية ، وفى العصور الحديثة الفلاسفة الإنجليز "آدم سميث ، وريد ، ودجلد ستيورات". [١٤]

وكانت محاولة ثالثة [وهى آخر ما نذكره من هذه المحاولات القديمة] وكادت تحظى بنصيب أوفر مما عداها ، وهى - كما عبر عنها ابن جنى بقوله " : وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعة: كدوى الريح ، وحنين الرعد وخرير الماء وشجيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبى ، ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد وهذا عندى وجه صالح ومذهب متقبل.[١٥]

ولذلك يرى العلماء فى العصر الحديث: أن هذه النظرية هى أدنى نظريات هذا البحث إلى الصحة وأقربها إلى المعقول وأكثرها اتفاقا مع طبيعة الأمور وسنن النشوء والارتقاء الخاضعة لها الكائنات وظواهر الطبيعة الاجتماعية . . . . ولم يقم أى دليل يقينى على خطئها ، ولكن لم يقم كذلك أى دليل يقينى على صحتها . . .[١٦]

ويرى الفيلسوف السويسرى الأصل: "جان جاك روسو": أن أصل اللغات هو من الحاجات الأدبية ومن الأهواء ، فكل الأهواء تقرب بين الناس الذين تجبرهم ضرورة البحث عن العيش إلى التباعد ، فالا الجوع والعطش انتزعا منهم أول التصوتيات ، بل الحب والكره والشفقة والغضب. إن الثمار لاتفلت من أيدينا فيمكننا أن نتغذى بها من غير كلام ، كما أننا فى صمت نطارد الفريسة التى نريد أن نقتاتها ، ولكن إذا ما أردنا التأثير فى قلب شاب ، أو صد معتد أثيم ، فإن الطبيعة تملى علينا نبرات وصرخات وأنات . . . [١٧]

ويرى روسو "أن القصص الأولى والخطب الأولى والنواميس الأولى قد كانت شعرا فلقد وجد الشعر قبل النثر ، . . . لأن الأهواء تكلمت قبل العقل ، وكذلك كان شأن الموسيقى ، فلم يكن ثمة فى البداية من موسيقى إلا النغم ولا من النغم غير ما يحدثه الكلام من تنوع الصوت . . . [١٨]

فبين أصل اللغات والموسيقى ارتباط قوى فى نظره ، فمن التناغم الموسيقى كانت اللغة ، "فقد كانت النبرات تكون النشيد والكميات تكون الوزن وكان الناس يتكلمون بالأصوات والإيقاع بقدر ما كانوا يتكلمون بالمقاطع والتصويتات.[١٩]

فهذه بعض المحاولات لاكلها التى بذلت لتفسير نشأة اللغة ، ولنا بعد ذلك أن نعقب عليها نافذين من خلال ذلك إلى محاولتنا الأخرى نحو هذا السبيل المزدحم.

ثانيا: ملاحظات خاصة على آراء الباحثين السالفة

إنه يتبين للناظر فيما ذكرت من محاولات وفيما لم أذكر أنها محاولات لم تقدم الدليل المنطقى الذى يحدث أنسا لذهن الباحث ، فقد نسى أصحاب التوقيف حين استدلوا بقول الله سبحانه: "وعلم آدم الأسماء كلها" أن هذا التعليم لم يكن وآدم فى الأرض ، واللغة التى تعلم بها آدم عليه السلام الأسماء كلها لغة ملائكية فهمتها الملائكة حين أنبأ آدم بأسماء الأشياء المعروضة كلها وعجزواهم عن الإنباء بها، وحين هبط إلى الأرض استقبلته الأرض بحياتها ولغتها المختلفة طبيعتيهما حتما عن حياته الأولى ولغته الأولى ، فكانت الحياة الأرضية حياة الجد والجهد ومباشرة الأسباب ، بينما كانت الحياة الأولى حياة الراحة الكاملة بلا مباشرة لأسبابها ، فكانت اللغة الأولى المعلمة حين الحياة المطمئنة الهادئة توقيفية لاريب فى ذلك ، وعلى آدم فى حياة الثانية مستعينا بما بقى فى عقله من خواطر الحياة الأولى أن يعتمد على نفسه فى تحصيل مطعمه ومشربه ولغته.

أما القائلون بالاصطلاح نسوا أيضا أن الحياة الأولى للجيل البشرى الأول لم تكن تسمح على الإطلاق بعقد ما يشبه المجمع العلمى اللغوى فى العصر الحديث ليستقصوا ما على الأرض من حولهم ليسموه ويعرفوه ليمتاز ما سمى عن غيره إذا ذكر ، لأن حياتهم كانت شاقة مجهدة ، فلم تكن اللغة التي يتغياها الإنسان حينئذ لغة صناعية ، بل كانت - بحكم الواقع وما تفرضه الطبيعة - لغة حاجة إن صح هذا التعبير ، تفصح فقط عن حاجة اللاغين متطابقة مع حياتهم البدائية ووسائلهم الأولية ، فلم يجهد الناطقون أنفسهم لتحديد الأسماء للمسميات ، لأن الحياة يومئذ بها من المهام ما يكلف شططا.

فلو كان ثمة اصطلاح وقع أو حدث لوجدنا فى لغتين على الأقل من فصيلة واحدة اشتركا عظيماً فى أكثر ما احتوت اللغتان من مفردات ، ولكن الأمر كما ذكر العلماء المقارنون بين اللغات ، لم يحدث الاشتراك إلا فى طائفة قليلة يمكن حصرها ، وما وقع فيه الاشتراك ، وسعت صيغته أحيانا واستبدلت بعض أصواته أحيانا أخرى ، وعلى سبيل المثال: لفظ الجلالة "الله" فى العربية ، نجده فى اللغة الأكادية: "إلو" وفى العبرية: "إل ، وألوهيم.[٣٠]

ويلاحظ أن لفظ الجلالة من أقدم الأسماء فى لغات البشر ، فلو كان ثم اصطلاح لوجد فى كل اللغات لافى بعضها فحسب بصيغة واحدة وعلى هيئة نطقية واحدة. ولكن الاصطلاح الذى تم فى اللغة ليس بالطريقة التى شرحها عبقرى اللغة العلامة ابن جنى ، فهذه طريقة ملموحة سابقة لأوانها كما قلت ، وإنما كان الاصطلاح العام ، المتمثل فى إقرار المجتمع اللغوى كله على اللفظة المنطوقة من أى مصدر والمسموعة من أى لاغ حتى ولو كان اللاغى هذا لايعقل ، فالاصطلاح الحادث حينئذ لم يكن يمتاز فيه حكيمان أو ثلاثة فصاعد بوضع ، بل كان من حق المجتمع اللغوى كله ، بدليل شيوع كلمات هى فى أساس نشأتها حكاية عن أصوات الطبيعة فمثل الشهيق والزفير والخرير والصهيل والطقطقة والصرصرة وما إلى ذلك هى حكاية أصوات طبيعة ، التقطتها أذن السامع من مصادرها فحاكاها على الفور وأقر المجتمع اللغوى فى نفس البيئة هذه الحكاية وسلم بها.

ولكن ليس معنى ذلك أن أصل اللغات هى المحاكاة كما رأى بعض العلماء قديما وحديثا ، لقد غفل أيضا أصحاب رأى المحاكاة عن أمر هام وخطير ، وهو أن الإنسان سيد الطبيعة ، فهو إذ حاكى الطبيعة فى بعض ما نضحت من أصوات ، ولم يحاكها قصد إلى تعلم اللغة منها ، فهذا حط من شأن الإنسان وإزراء به ، ولكنه حاكاها لأن لغته حينئذ كانت لغة الحاجة ، التى تحتاج إلى رصد أى صوت لأدنى مناسبة لحاجة

الإنسان نفسه إلى الاستفادة مما حاكاه ، وما زالت عادتنا إلى اليوم أن نعرف الشيء بوصفه أو حكايته في مشيه أوزبه إذا جهلنا اسمه بغية التعرف عليه للاستفادة أو الحذر منه ، فمن زعم من العلماء والباحثين أن الحكاية أسبق المحاولات في نشأة اللغة ، لأنها أنسب ما تكون للإنسان في فترة تخلفه. ، فهذا زعم مردود شكلا وموضوعا ، والتجارب المشاهدة تنفي ذلك بالقطع ، إذ عندما يهبط الإنسان مكانا ما أو يحل فيه لأول مرة ، يتعرف على المكان أولا ، وعلى قاطنيه ثم يستأنف بعد ذلك نشاطه الذى كلف به أو هو من صميم حياته ، فقد كان الهدف الأساسى من المحاكاة وغيرها من سبل التلفظ ليس تعلم اللغة ، بل الهدف كان ملاحقة المعانى الجاثمة في الصدر بلا نهاية بما يتيسر للناطق من ألفاظ سواء كانت حاكية أو غير حاكية ، لمجرد الاستفادة أو أخذ الحذر مما يسمه وسماه ، كالطفل حين يقول: بابا - ماما - فإنما يهدف إلى الأنس بهما أو الاستفادة منهما ، وليس الهدف شيئا آخر ، فالإنسان الأول مازالت المعانى أمامه جمة ومتراكمة ، فشيء يرتجله وشيء يحاكيه ، وشيء يشتقه وشيء يقيس عليه فلو انتظرو تريث حتى يفكر في مضغ واصطلاح دون محاكاة لم يبق من وقته شيء ينفقه على مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه ، وغير ذلك من ضروريات الحياة التى كان ولايزال الإنسان حتى يومنا هذا جاداً نشيطا جلدا في تحصيلها ، بدليل أن المعانى ما زالت حتى اليوم أكثر من الألفاظ ، وكانت قبل اليوم أكثر من الألفاظ يقول الجاحظ: " ثم أعلم حفظك الله أن حكم المعانى خلاف حكم الألفاظ ، لأن المعانى مبسوطة إلى غير غاية وممتدة إلى غير نهايه.[٢١]

وستظل إلى المستقبل كذلك ، ولن تتمكن المعاجم والقواميس جميعا أن تختم صفحاتها على آخر لفظ لآخر معنى.[٢٢]

وما دام الإنسان منذ القدم يملك أذنا لاقطة فسوف تتجاوب معها حنجرته فالسمع - على حد قول ابن خلدون - أبو الملكات اللسانية .[٢٣]

فالمخلوق السوى الذى يمتلك جهازاً نطقياً عجيبا ، لن يكون صامتا كما يتصور بعض الباحثين المحدثين مدة طويله حتى ينبهه إلى استعماله أصوات طبيعية من هنا أو أصداء حيوانية من هناك ، وقد أثبت العلم الحديث اليوم أن الجهاز النطقى فى الإنسان قادر على إنتاج أصوات وأنواع من الضجيج تبعد عن اللغة بقدر ما تبعد عنها أصوات آلة متحركة .[٢٤]

إضافة لما تقدم فإن الباحثين المتحمسين لنظرية المحاكاة أنفسهم رأوا أن الاعتراضات عليها بل والتهكم بها كثير من العلماء ، ورأوا : أن أقوى اعتراض عليها هو أن اللغات فى وضعها الراهن لاتكاد تشتمل إلا على قدر ضئيل جداً من تلك الكلمات الواضحة الصلة بين اللفظ والمدلول ، وهى تسمى:

"ONOMATOPOEIS"

هذا إلى أنها قد تختلف باختلاف اللغات حتى فى الفصيلة الواحدة ، فليس لخرير الماء أو حفيف الشجر أو مواء الهر أو نباح الكلب فى لغات البشر كلمات مشتركة فى لفظها أو بعض لفظها .[٢٥]

ونأخذ من هذا دلالة أخرى وهى: أن الالفاظ الحاكية للصوت الطبيعى - وهى مختلفة باختلاف اللغات حتى فى الفصيلة الواحدة - كان نطقها حين حكيت أمراً اختياريا ، لم تفرضه ضرورة تعليمية ، فلم تأت بتعبيرات الحديث صورة طبق الأصل فى كل لغة ، ولذلك يقول رائد الألسنية الحديثة العلامة السويسرى "فردينان دوسوسير" : إن الكلمات المحاكية للصوت قليلة العدد واختيارها أمر اعتباطى بمقدار إذ أنها ليست سوى محاكاة تقريبية .[٢٦]

فلنأخذ عينة من تلك الألفاظ التى اتفق على أنها محاكاة للأصوات الطبيعية فى لغتنا العربية ونقارنها أو نبحث عن نفس معانيها فى بعض اللغات الأخرى لتتبين لنا حقيقة هامة أخبر بها بعض علماء العربية منذ أكثر من ألف سنة وهو الإمام اللغوى أبو الحسن على بن سيده الأندلسى ، فى الصفحات الأولى من كتابه الضخم "المخصص" قال: "اللغة اضطرارية وإن كان موضوعاتها اختيارية.[٢٧]

فاللغة فعلا كما وصفها هذا العالم العربى ، اضطرارية لامتلاك الإنسان أعجب جهاز إرسال واستقبال: الجهز النطقى والجهاز السمعى ، ثم إن موضوعاتها اختيارية ، ويؤكد هذا الواقع الذى يحوى بين جنباته ثلاثة آلاف لغة متكلمة غير اللهجات.[٢٨]

فخذ الكلمات: خرير ، صهيل ، نباح ، صراخ ، قطع ، قلع ، وأنظر إلى مقابلها فى لغة من اللغات الأخرى ، ستظهر لك الاختيارية أظهر ما تكون فى اتفاق هذه المعانى التى مصدرها الأول الطبيعة واختلاف ألفاظها بين الناطقين باللغات المختلفة ، ليدلك ذلك على أن الإنسان حين نطق مقلدا الطبيعة ، لم يكن جالساً القرفصاء يصغى باهتمام بالغ إلى أصواتها ليتعلم منها التصويت ونطق الألفاظ ، وإنما ربما قلدها وهو نائم مسترخى أو قائم مستبسل متوثب يغالب قسوة الطبيعة ، فجاء تقليده إياها بلا أدنى تكلف قاصدا تعريفها لنفسه ولمن حوله لغرض لا يمت إلى تخلفه بصلة.

ففى الإنجليزية نرى مقابل هذه الكلمات مختلفا تمام الاختلاف إلا فى كلمة قطع فهى قريبة النطق من العربية ، "فخرير" نجد مقابلها فى الإنجليزية عدة كلمات نختار منها:

[٢٩]Murmur

وكلمة "صهيل" نجد مقابلها فى الإنجليزية كلمتين:

Neighing. , Whnnging

ومقابل نباح فى الإنجليزية ثلاث كلمات:

Barking. ,. Baying. ,. Yelping.

وصراخ وجدت فى مقابلها خمس كلمات فى الإنجليزية اخترت منها:

Crying

وقطع وجدت مقابلها فى الإنجليزية أكثر من عشر كلمات أولها أقرب نطقاً إلى العربية وهو:

Cutting

وقلع وجدت مقابلها فى الإنجليزية ما يقرب من عشر كلمات منها:

Uprooting. ,. Extirpation

أما المحاولات الحديثة كمحاولة "روسو" وغيرها فإنها محاولات اجتهادية لا تنهض بها أدلة ، وهى فى الواقع صور خيالية يفرضها على البحث أحيانا تخصص الباحث فى فن ما أو علم ما ، وروسو كان بارعا فى فن الموسيقى ، فأراد أن يذهب فى تأصيلها حداً بعيداً فيربط بنشأتها نشأة اللغة ، وهذا شطط وإسراف لايقبلان.

ثالثا: ملاحظة عامة عن آراء هذه القضية.

فى رأيى أن الآراء التى حاول ت ـ نشأة اللغة ـ قديمها وحديثها ـ يمكن أن تفسر نشأة اللغة ، وتقول بها لتفسير نشأة اللغة خطأ غير مقصود. لأن رأيى أن الإنسان مخلوق معتنى به ، لم يخلق عبثا ، ولن يترك سدى ، فاللغة لد هبة ثمينة وملكة فطرية ، وهى قوة كامنة فى كيانه ، وليست عبئا ثقيلا ولا أمرا دفينا عليه استخدامه ، فالإنسان منذ بدء الخليقة أودع الله فيه هذه الطاقة الخلاقه الراصدة ، فليس لباحث أن يدعى ـ إلا زعما بالغيب ـ إن الجيل البشرى الأول قد قطع حياته أو بعضا منها دون لغة ، أو أن التقاءه باللغة كان مصادفة أو عفويا ، فمثل هذا الادعاء باطل مردود لاسند له من عقل أو نقل.

فالدلالة الأولى كانت توفيقيه لاريب فى ذلك ، وليس فى الآية التى استدل بها أصحاب التوقيف فى نشأة اللغة ـ دليل على أن الله علم أدم اللغة ، ولكنها دليل على إيقافه على الدلالات ، وهى الأسماء الدالة على الأشياء المعروضة فى ساحة الاختبار.

وليس معنى أن الدلالة الأولى كانت توقيفية أنها انتهت ، فما زالت مسائل العلم وقواعدة إلى الآن نتعلمها بالتوقيف عليها ، وما زال العلماء يقولون عمالا يدرونه ، لاندرى ، ومعنى لاندرى أى لاندرى دلالته لا نطقه ، فلو أشار لك من تعرفه إلى من لاتعرفه من الناس ليعرفه لقلت له: لاأدرى ، ولا تقصد أنك لا تدرى كيف تنطق باسمه ، وإنما لا تدرى الاسم نفسه الدال عليه.

فكان من وصايا العلماء قولهم: ينبغى أن يألف العالم فيما أشكل عليه قول: لا أدرى فإنه عسى أن يهيأ له خيرا . [٣٠]

قال ابن وهب: وكنت أسمع مالكا - وهو إمام دار الهجرة - كثير ما يقول: لا أدرى ، وقال فى موضع آخر: لو كتبنا عن مالك لا أدرى لملانا الألواح.[٣١] ، ومعنى ذلك أن ما يوقف الإنسان عن النطق أحيانا هو عدم درايته بالمتحدث عنه ، لا جهله بالحديث نفسه.

ثم تلا الدلالة التوفيقه ، الدلالة بالمحاكاة ، وبالارتجال . . وما إلى ذلك مما قيل آراء فى نشأة اللغة ، وهى فى الواقع لا تصلح آراء إلا فى نشأة الدلالة ، وأدلة ذلك واضحة فيما بيننا ، فمن تلك: اجتماع المجامع والجمعيات اللغوية لوضع الأسماء للمسميات الحادثة والوافدة ، فهل هى تضع الأسماء لتلقن الناس نطقها أم توقفهم على دلالتها؟ تفسراً للاستعمال وتحصيلا للفائدة؟.

فوضع الأسماء منذ القدم كان للدلالة ، وللدلالة وحدها ، نستطلع ذلك من الأصمعى حين أحب أن يستثبت من لفظة "استخذيت" أهى مهزوزة أم غير مهموزه؟ فقال لأعرابى: أتقول: استخذيت أم استخذأت؟ - وهى بمعنى الخضوع والتذليل - فقال الأعرابى: لا أقولهما ، فقال الأصمعى:ولم؟ فقال الأعرابى: لأن العرب لا تستخذى.[٣٢]

فكأن العرب وضعوا لفظة "استخذى" للمعنى الذى ظهر فى غيرهم لا عندهم ، لذا رفض الأعرابى النطق بها لوجود تاء الفاعل ، التى ترجع بالاستخذاء إلى الناطق ، فالمعانى أو الدلالات هى التى كانت من وراء وضع اللفظ حين وضع.

ومن تلك الأدلة: نقل اللفظ لتشابه المعنى الأول والثانى ، فالعربى حين قال: القطار ، والسيارة ، والحافلة ، والمذياع ، والدراجة ، استغنينا بوضعه هذا فلم نضع للآلات الجديدة الوافدة التى لايدرى عن أشكالها شيئاً أسماء أخرى ، وما منعنا إلا أن المعنى الحديث لهذه الآلات مشابه للمعنى القديم الذى وضع له العربى ألفاظه

الدالة عليه، فالقطار عنده: هى الإبل التى قرب بعضها إلى بعض على نسق ، والحافلة: هى الناقلة كثير اللمز ، والمذياع: من لايكتم السر ، والدراجة: هى الحال التى يدرج عليها الصبى إذا مشى.[٣٣]

وقد يتطابق المعنيان ، فيكون المعنى القديم هو هو المعنى الحديث ، فنستمد من العربى اللفظ دون حاجة إلى نقل ، وذلك فى مثل الدبابة والطائرة والمكواة. . .

إذ الدبابة مذ كانت هذه اللفظة هى الآلة التى تتخذ فى الحروب فتدفع فى أصل الحصن فينقبون وهم فى جوفها ، والطيران: هو حركة ذى الجناح فى الهواء بجناحيه ، والكى: هو حرق الجلد بحديدة ونحوها ، وهى المكواة . . . [٣٤]

ومن الأدلة أيضا نشأة الكتابة ، فلقد بدأت الكتابة القديمة باستعمال صور للتدليل على أشياء أو أفكار ثم تطورت الصورة فأصبحت تمثل كلمة من كلمات اللغة ، ثم كلمات ذوات أصوات واحدة ثم استعملت رموزاً للدلالة على العلامات الساكنة الأولى من الصوتيات وهكذا .[٣٥]

ومن البديهى أن نعلل لنشأة الكتابة التصويرية بالدلالة على المصور ، أو بالدلالة على معنى ذهنى مفهوم من طريقة تصويره.

ولم يبدأ الإنسان الكتابة إلا حين وجد ذهنه أثقل بالكلمات الدالة على أشياء متعددة ، وربما كانت أصوات هذه الكلمات قريبة اللفظ ، فلم يجد الإنسان بدا من تمييزها بالكتابة التصويرية ، أو أراد وسم المكان بما يحوم فيه من طيور أو يزحف فيه من زواحف ، أو يعد وفيه من ذوات الأربع ، أو أراد ترك أثر لغيره يعرف منه وجهته . . هذا كله ممكن ويفسر فى النهاية ملجأ الإنسان إلى الكتابة التصويرية فى بادئ أمره ، وأن ذلك كان للدلالة ، وقد عثر الأثريون على وصف تصويرى فى مدينة "تيومكسيكو" من عمل الهنود وقد وجد على صخرة فى منطقة شديدة الوعورة ، ورأى العلماء أن

المقصود به التنبيه على أن هذه المنطقة محفوفة بالخطر وقد لاينجو منها الإنسان ، وأن المنطقة لايقدر على احتمال وعورتها والنجاة فيها إلا الحيوان - كبش الجبل - والصورة لراكب فرس منقلب وكبش الجبل السائر فى تؤدة . . . [٣٦] فهذا الوصف التصويرى دال دلالة معنوية ، وشاهد على قدرة الإنسان منذ كان على النطق والتفكير.

ولذلك نلمح فى تعريف ابن خلدون للكتابة عامة دقة وتوفيقا ، فقد قال: "أنها رسم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما فى النفس. فهو - يقصد الخط - ثانى رتبة من الدلالة اللغوية . . .[٣٧].

ومعنى ذلك أن الرتبة الأولى من الدلالة اللغوية هى الكلمات المسموعة التى تظهر بالنطق وتفهم بالسمع ، فهل نصدق بعد ذلك قول من يرى من الباحثين: "أن الإنسان الأول سمع الأصوات الطبيعية حوله ولكنه لم يقلدها فى هذه المرحلة لأن هذا يفترض له حينئذ قدرة عقلية لم يستطيع المحدثون أن يتصوروها للإنسان فى هذه المرحلة من حياته ، فتقليده للاصوات الطبيعية حون مرحلة متأخرة جاءت بعد أن حاول هو النطق أولا ، ولم يكن لنطقه الاول غرض خاص يرمى إليه ، بل كان عفوا أو أن شئت فقل غرزيا.؟[٣٨]

فمثل هذا القول يذكرنا بأسس نظرية دارون "النشوء والارتقاء" وهذه الأسس هى الصدفة ، الطفرة ، الانتخاب الطبيعى ، وهذه النظرية اعتبرت لدى أوساط كثيرة البديل الوحيد لفكرة الخالق ، والتفسير الوحيد فى أيديها للحياة دون الحاجة إلى الخالق ، ويلاحظ أن التطور بين أنفسهم الذين أتوا بعد "دارون" يعتبرون الصدفة خارج الاحتمال ، ناهيك عن علماء متخصصين أبطلوا هذه النظرية من أساسها لأنها قائمة على أدلة مزيفة أو مزورة.[٣٩]

فمن أين للباحثين أن الإنسان الأول لايستطاع تصور قدرته العقلية حينئذ؟

ولعل من أوضح الأدلة على أن الآراء التى ذكرها العلماء تفسيراً لنشأة اللغة لاتصلح إلا آراء فى نشأة الدلاله ، هو أن الدلالة كانت ولازالت أوسع من اللغة مما اضطر الإنسان إلى ملاحقتها بأقصى وأدنى ما تيسر له ، سواء فى ذلك ملاحقتها باللغة الحاكية أو المرتجلة أو المصطلح عليها اصطلاحا عاما ، أو بالإشارة باليد أو بتقطيب الوجه أو انفراجه أو الصفير أو الهمس . . .

وليس فى رأيى ترتيب زمنى لحدوث الدال فقد حدث المحاكاة الصوتية مع حدوث الإشارة باليد أو غيرها ، وربما حدث الدال الصوتى مرتجلا مع تقطيب الوجه أو انفراج أساريره قبل الحكاية أو بعدها ، ويرى بعض الباحثين أن الإشارة ربما كانت أسبق وجودا من الكلام.[٤٠] ، ويقطع البعض بأن *الإنسان لم يتكلم أى لم يعبر بالصوت* قبل تعبيره بالإشارة ، لأن فك المعمى الإشارى أسهل بكثير من فك المعمى اللغوى ، وكل منا تقريبا يستطيع أن يرد الإشارة كمصطلح تعبيرى حركى إلى أصلها الطبيعى ، إلى الحركه العضوية التى نشأت منها ، والسبب هو قلة التحولات التى أصابت حركة الإشارة الناشئة قياسا على ما أصاب جروس الكلام الناشىء من تحولات ، وعمل الفكر الخاص بربط اللفظة بمدلولها لا يختلف نوعا عن عمله الخاص بربط الإشارة بمدلولها . . .[٤١]

ويجوز بعضهم أن أول النطق المعقول فى الإنسان بدلالة الإشارة كما يصنع الحرص.[٤٢]

ولكن الرأى المقبول والمعقول فى الإشارة هو ما قال به الجاحظ قديما: بأنها - أى الإشارة - نعم العون هى له - أى للفظ - ونعم الترجمان هى عنه ، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وتغنى عن الخط.[٤٣]

نعم: تنوب عن اللفظ إن لم تقترن به ، لأن الإشارة لا تفيد فى الظلام ولا تفيد فاقد البصر ، وتقتضى - إن تمت وحدها ودون إناية - إسرافا فى الوقت والجهد حتى تفهم دلالتها.[٤٤] ، فهى كما عرفت: رد فعل شرطى ضد موقف قد تم إدراكه فى صيغته العامة ولكن دون أدنى تحليل لمكوناته الجزئية[٤٥]

فمن يرى من الباحثين أن الإشارة الطبيعية كالتقطيب وانبساط الأسارير وغير ذلك مما هو موجود فى الإنسان لايفارقه ، أثر باق من لغة الإشارة للدلالة على المعانى الطبيعية الموروثة من أول الدهر ، غير صحيح ، لأن هذه الإشارة الطبيعية جزء من البناء الإنسانى ، فالإنسان خليط معقد من الدوافع والحوافز والمهارات والانفعالات والعواطف لم تفارقه قديما ولن تفارقه ما دامت الحياة ، كما أن حد الإنسان الذى يجمع عليه كافة العلماء قديما وحديثا أنه "حيوان ناطق.[٤٦] ، ومن وقت ما حده المناطقة بهذا" حاول الناس دواما فى جميع المجتمعات اكتشاف سر تميزهم عن غيرهم من الأحياء ، فلم يصلوا إلى شىء ، واختبرت اللغة أخيرا كصفة تشخيصية مميزة خاصة بالجنس البشرى ، ويبدو حتى الآن على الأقل أنها اختيار سليم.[٤٧] فاستعمال الإنسان أنواعاً من الدوال ليس فيه إلا دليل واحد على المحاولة المضنية للسيطرة على ما يحيط به من صوامت وصوائت ، فحاكى وارتجل وأشار وهمس وزمجر وقطب ، أى استخدم كل ما أمكنه استخدامه من دوال - مع استخدام صوته فى نفس الوقت - على المدلولات التى كانت تحاوطه من جميع جهاته، والسؤال الآن: هل يمكن تحديد لغة هذا الصوت المستخدم فى هذا الوقت البعيد؟

نجيب على هذا السؤال فى النقطة التالية ولكن بإيجاز.

رابعاً: اللغـــة الإنسانيـة الأولى.

نعم إن الإنسان الأول كان له لغة ، ركن مثله في خلق مفرداتها مثل من يحاول أن يقيم لنفسه بيتاً يسكنه في مكان قفر ولن يعينه في إقامته أحد ، فهو قد يتخذ بيته في الجبل أو في مغارة أو بترصيص الحجارة وغير ذلك من وسائل حتى تتم له السكنى ، وهو حين يصنع بيته لن يقصر في دعمه ولن يتهاون في تقويته وسد ثغراته حتى يأمن على نفسه حين يقيم فيه ، فمثل ذلك كان أمر اللغة الأولى ، كانت كما سبق القول: لغة حاجة ، أقامها الإنسان الأول لنفسه ولمن معه تعبر عن أغراضهم الأولية وحياتهم البدائية.

ومن العجيب أن أمم الأرض كلها بما فيها أمة العرب رغبت في الاستئثار بهذه اللغة ، فزعم الصينيون أن اللغة كانت الصينية ، وإدعى الأرمن ، والعبرنيون ، والآراميون والإغريق مثل ذلك ، حتى جاء العرب ورأى أحد أعلامهم أن العربية أول اللغات وكل لغة سواها حدثت بعدها إما توقيفا أو اصطلاحا ، واستدلوا بأن القرآن كلام الله وهو عربي ، وهو دليل على أن لغة العرب أسبق اللغات وجودا.[٤٨]

ومن الطريف أن نذكر هنا خبرا ذكره ابن الأثير ، نرى فيه تنازع الأمم حول أسبقية لغتها ، قال ابن الأثير: حضر عندي في بعض الأيام رجل من اليهود وكنت في الديار المصرية وكان لليهود في هذا الرجل اعتقاد لمكان عمله في دينهم وغيره ، وكان كذلك ، فجرى ذكر اللغات ، وأن العربية هي سيدة اللغات ، وأنها أشرفهن مكانا وأحسنهن وضعا ، فقال ذلك الرجل: كيف لا تكون كذلك وقد جاءت آخراً ، فنفت القبح من اللغات قبلها وأخذت الحسن؟ ثم إن واضعها تصرف في جميع اللغات السالفة فاختصر ما اختصر وخفف ما خفف ، فمن ذلك اسم الجمل فإنه عندنا في اللسان العبراني "كوميل" مما لا على

وزن فوعيل ، فجاء واضع العربية وحذف منها الثقيل المستبشع ، وقال "جهل" فصار خفيفا حسنا ، وكذلك فعل في كذا وكذا وذكر أشياء كثيرة.[٤٩]

فكل أمة ادعت السبق للغتها دون سواها ، وهو ادعاء لاتسنده إلى العواطف الجياشة لكل أمة نحو لغتها ، والعربى الذى استدل بنزول القرآن الكريم - وهو كلام الله - بلسان عربى ، قد غفل بالتأكيد عن تقرير القرآن الكريم نفسه عن واقع إرسال الرسل ، وأنه بلسلن كل قوم أرسل الرسول إليهم ، قال تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم".[٥٠]

واللسان فى الآية مراد به اللغة ، قال القرطبى: "وحد اللسان وإن أضافه إلى القوم لأن المراد اللغة ، فهى اسم جنس يقع على القليل والكثير ، ولا حجة للعجم وغيرهم فى هذه الآية ، لأن كل من ترجم له ما جاء النبى به صلى الله عليه وسلم ترجمة يفهمها لزمته الحجة.[٥١]

فهذه الادعاءات كلها مرفوضة لأن أدنى قواعد الحكم رفض الدعوى بالا دليل ، ولكن لا يملك أحد رفض الاجتهاد المدعم بالأدلة ، فلقد أدت الدراسات اللغوية الحديثة فى ظل المنهج المقارن إلى تقسيم اللغات إلى فصائل ، وكل فصيلة تحتوى على مجموعة من اللغات بينها من وشائج القربى فى المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ما يؤكد أنها كانت فى وقت ما لغة واحدة ، والاختلاف الواقع بين العلماء حول تعيين هذه اللغة الواحدة التى هى أم فصيلتها ، مع اتفاقهم على أن هناك سامية وحامية أما وآرية أما ، لكن أى الساميات هى الأم ، و أى الحاميات . . . وأى الآريات . . .؟ فهذا لم يتفقوا عليه مع اعترافهم - بالنسبة للسامية الأولى - أن العربية تحتفظ بكثير من أصول السامية الأولى ، لأن الباحثين من علماء التاريخ اتفقوا

أو كادوا "على أن الموطن الأول للشعب السامى فى العصور التاريخية هو الجزيرة العربية . . . [٥٢]

وعليه فقد رأى المستشرقون أن العلاقة واضحة بين نطق الحرف العربى القديم ونطق الحروف فى اللغة السامية الأم التى يفترض أن كل اللغات السامية نشأت منها ، وانتهوا إلى نتيجة سلمت لديهم مقدماتهم وهى: أن العربية رغماً لطول الزمن الماضى عليها ، قبل بروزها فى ميدان التاريخ قد حفظت الحروف الأصلية حفظا أتم من سائر اللغات الأخرى.[٥٣]

ولقد اطلعت على رأى لأحد الباحثين المحدثين من العرب جدير بالذكر - وإن رأيت فيه بعضا من المغامرة - فهذا الرأى فى كتاب له أسماه مغامرات لغوية.[٥٤]

ولا غرر فرأس العلم طموحة لاتقنع بما دون النجوم ، ولكن يشفع له أن سؤالا طموحا خطر فعلا بأذهان الباحثين من المستشرقين ، فلقد تساءلو - كما ذكر ولفنسون: هل هناك علاقة بين اللغات السامية واللغات الآرية؟ قال ولفنسون: وقد تضاربت اقوالهم فى هذا الأمر فمنهم من أيد ومنهم من سخر من هذا التساؤل ورأى ولفنسون أنه لا دليل على سبق الاشتراك بين السامية والآرية ، ولو سبق ذلك لبقيت له مظاهر جوهرية فى هذه اللغات ، فمن المستحيل أن تحمى هذه المظاهر تماما حتى لا يبقى منها شىء مطلقا ، ووجود كلمات قليلة متشابهة بين إحدى اللغات السامية وإحدى اللغات الآرية ليس إلا من باب المصادفة.[٥٥]

لكن صاحب المغامرات قد اتخذ من المحاكاة نظرية ترسيسية ، ترجع باللفظة العربية أو الأعجمية إلى رسمها - أى بدايتها الأولى ، وقال: "ولئن وقف الأوربيون عند حدود التأثيل - أى رد الكلمة

إلى أمها المباشرة القريبة - فالأنهم لايعرفون حدوداً أبعد منها ، وبتعبير آخر لايعرفون اللغة الأم التى انحدرت منها الألفاظ الأثلة ، وبتعبير ثالث لأنهم لم يتعمقوا فى درس العربية التى كشف لنا تقليبنا النظر فيها وفى ظروفها قبل التاريخ ، أنها أم اللغات الآريات ، لا الساميات والحاميات فقط.[٥٦] ، ألم أقل لك من قبل إنها مغامرة؟ بل وضح أنها مغامرة جزئيه.

لأن معنى ذلك أنها اللغة الإنسانية الأولى التى خصصنا لها هذا الجزء من الحديث فى هذا البحث ، ولقد غاص الباحث غوصا عميقا فى معاجم اللغات القديمة والحديثة وجاء بالأمثلة المنطقية التى لايسهل ردها ، ولو حقق الباحث ما وعد به من دراسة علمية واسعة تؤيد ذلك لكان فتحاً مبيناً فى فقه اللغات عامة والعربية خاصة ، ولكن رأيى الأن أنه لاسبيل إلى معرفة اللغة الأولى ، ولا دليل على ذلك إلا القول: بأنها لغة بدأت مع التاريخ وعجز التاريخ أن يسجلها ، وأنها أصل اللغات جميعاً ، كالخميرة التى صلحت أن تربى عليها عجائن مختلفة ، وأنها لغة الإنسان الأول - آدم عليه السلام - الذى لم يكن بالقبيل من الناس دون قبيل فهو أصل البشرية فكذلك لغته أصل اللغات ، فليست هى اللغات كلها ولا واحدة منها ، ولكن لى وجهة نظر فى هذا الأصل المجهول.

خامساً: رأى الباحث.

أولا : لو حقق أحد الباحثين عن طريق ما يسمى بالترسيس أو غيره ذلك الأصل المجهول فلن يكون هذا الاصل - سواء كان العربية أو غيرها - هو اللغة الأولى البتة ، لأن مثل هذا التحقيق سيقوم فى الغالب على آثار الحكاية الصوتية فى اللغة وقد علمنا أنها آثار ضئيلة جداً لاتكاد تذكر فى اللغة ، وإنما سيؤكد هذا التحقيق على سبق لغة ما فى طور آخر تال للأصل المجهول.[٥٧] ، فهذا الأصل المجهول لم يدون التاريخ بصمة ناطقة بصوته ، على جدار معبد أو حجر يربد يمكننا من الاستشهاد به على هذا السبق للغة أثبتت نظرية كالترسيس سبقها.

ثانياً: هذا الأصل المجهول لم يكن أحد هذه اللغات المعروفة ، وفى الوقت نفسه لم يكن هذا الأصل مباينا لها ، لأن هذه اللغات جميعا منه ، وهذا الأصل هو الجذور أو البذور التى بسقت اللغات عليها ، وقد ظل هذا الأصل ردحاً من الزمن يتوخاه الناطقون حتى توزعوا - حين ضاقت بوحدتهم المكان الواحد - فى جنبات المعمورة ، فألحق بهذا الأصل فروع أملتها ظروف الزمان وظروف المكان ، وتراوحت هذه الفروع قربا وبعد فيما بينها ، فى الوقت الذى يؤدى إلى الاختلاف التام بين بعضها أو القرب العام بين بعضها الآخر عوامل النمو ودوافع الانتشار ، وإن كانت الضرورة قاضية بأن القاسم المشترك بين جميعها وبين هذا الأصل هو الأبجدية ، فهى التاريخ الذى يهدى إلى هذا الأصل المجهول ، وهذه اللغات هى المراحل أو النظم التطورية لهذا التاريخ وليس من المقبول فصل أى نظام عن تاريخه.

ومن هنا فإنى أرد قول "دوسوسيد": أن انتساب جميع لغات العالم إلى أصل واحد غير محتمل.[٥٨] ، فغير المحتمل فعلا هو انتساب اللغات إلى أصلين أو أكثر ، فإذا كان قدها له كثرة اللغات وعنف اختلافها ، فما ذنب الأصل إذا تلقفته مخارج - بتعبير " الجاحظ " قديماً - لاتحصى ولا يوقف عليها؟.[٥٩] ، وقد أكد ذلك علم الأصوات الحديث فأكد العلماء: أن الجهاز النطقى الإنسانى صالح لإخراج ما لا يحصى من الأصوات.[٦٠] ، كما أكدوا أن أصوات أى لغة - على حدة - لاحد لها فى واقع الأمر ، وإن ما يسمى صوتاً واحداً قد يتردد بنفسه أكثر من مرة فى كلمة من الكلمات ولكنه ينطق فى كل مرة بصورة خاصة.[٦١]

ثالثاً: إنه أمر بدهى إذاً: أن اللغة بابتعادها عن المركز ، تحدث لها تغيرات حتماً ، بإحداث أصوات جديدة وأبنية كذلك ، إضافة إلى الاستبدالات النطقية التى تنتاب الأصوات الأولى الأصلية ، ودليل ذلك مشاهد الآن بين الناطقين بلغة واحدة ، وإذا كانت التلقائية من خواص التطور الصوتى ولا دخل للإرادة الإنسانية فيه ، كما يرى العلماء حديثا.[٦٢] ، فلا يفهم من هذا أن اللغة حدث فيها ما حدث من استبدالات وتغيرات بطريقة عشوائية ، بل تم ذلك تبعاً لاختيار الناطقين وتذوقهم.

ومما هو من المسلمات ولا شك فيه أن اللغة المركزية أو الأولى لم يستعمل ناطقوها كل الأصوات الجائز تآلفها والمكونة للعناصر اللغوية ، وإنما استعملوا الجزء اليسير المحتاج إليه والمؤدى للغرض ، وحتى الآن لانستطيع استعمال كل الأصوات والأشكال اللغوية ، وهذا يوضح لنا ما تم بعد انشطار اللغة الأولى من قوة التغيرات والتوليدات التى جدت مع كل طور لغوى جديد ، متمشية هذه التغيرات

والتوليدات مع ذوق كل فئة ناطقة ومستوحية فى كل طور المدركات المحصلة فى الأطوار السابقة.

من أجل ذلك فإنى أرد رأى من قال من المحدثين "إن اللغة الأولى كانت ساذجة وناقصة ومبهمة.[٦٣] ، رائياً: أن ما كانت له نتائج سليمة فإنه حتما ذو مقدمات سليمة فالحبل متصل بين لغة الإنسان الأول ولغة سليله الذى اخترق منطقة الجاذبية وسبح فى الفضاء الخارجى ، إذا استطاع كل جيل بشرى ان يبدأ من حيث انتهى الجيل السابق ولم يبدأ من الصفر من جديد ، والسر فى ذلك كما اعترف العلماء حديثا: "تلك الحصيلة المتزايدة من المعلومات التى تنقل بواسطة اللغة.[٦٤] ، ودليل ذلك أن كثيراً من الحيوانات لها حناجر مصوتة بأنماط مختلفة ، ومع ذلك فقد وقفت عند ثغائها وموائها وشحيجها وزئيرها وعوائها. . . وما إلى ذلك من أصوات ساذجة ومبهمة وناقصة لم تنجب إلا أمثالها على مر العصور وكر الدهور ، لكن لغة الإنسان كانت لغة العاقل الذى لم يتسيد الحياة إلا أنه أقام منذ حل بالكرة الأرضية معجما لغوياً ناطقا بعلامات لم تكن ساذجة ولا مبهمة ولا ناقصة سيطر به على الكائنات من حوله ، فأنجب مع توالى القرون لغة الجمال والخيال والفضاء ، فالشىء من معدنه لايستغرب.

ولله دره "ابن جنى" فقد خلص من بحثه فى نشأة اللغة إلى حكم علمى رائع قال: "كيف تصرفت الحال ، وعلى أى الأمرين - التوضع أو الإلهام - كان ابتداء اللغة فإنه لابد أن يكون وقع فى أول الأمر بعضها ، ثم احتيج فيما بعد إلى الزيادة عليه لحضور الداعى إليه ، فزيد فيه شيئاً فشيئاً ، إلا أنه على قياس ما كان سبق منها فى حروفه وتأليفه وإعرابه المبين عن معانيه ، لا يخالف الثانى الأول ولا الثانى الثالث ، وكذلك متصلا متتابعاً.[٦٥]

رابعاً : إذا كنت قد رأيت أنه لا سبيل لنا إلى معرفة اللغة الأولى ، فقد بقى لنا أن نتخيلها فقط وأقرب تصور لها أن نراها لغة أحادية المقطع ، أى أنها بدأت قصيرة خلافا لما يراه العالم الدانمركى "جبرسن" من ان الملاحظات الحديثة قد دلت على أن النصوص القديمة فى معظم اللغات قد تضمنت كلمات طويلة.[٦٦] ، أى أن اللغات بدأت بمقاطع كثيرة وقد وافقه على هذا بعض باحثينا كالدكتور إبراهيم أنيس واتخذ من هذا الرأى منطلقاً للهجوم على أصحاب الثنائيه وأرى أن قول القائلين ، بالثنائية لاأساس له من الصحة.[٦٧]

والعجيب أن "جبرسن" قد مهد لهذه النتيجة التى توصل إليها ونقلها الدكتور إبراهيم أنيس بمقدماتها بأسس ثلاثة أولها لغة الطفل ، وهذا الأساس لايصح الاستناد إليه إلا لمن يرى أن اللغة الأولى بدأت قصيرة - أحادية المقطع وثنائياً كان أو ثلاثيا فى رأيى - فاستنادا إلى نظام الطبيعة التى تبدأ الأشياء فيها قصيرة ثم تطول ، لن تكون بداية اللغة على نقيض ناطقها تبدأ طويلة ثم تقصر ، وإذا قلت إنها كانت لغة المقطع الواحد ، فإن ذلك هو المناسب فعلا لكل بداية ، فالناطق حينذاك كان يتهجى الطبيعة الناطقة والصامته ، ولننظر الآن إلى من يقدم على تعلم لغة أجنبية غير لغته ، فإننا نراه يتهجى كلماتها مقطعاً مقطعاً، ولا يقدر فى بداية تعلمه أن ينطق كلمة من كلماتها جملة واحدة إلا إذا كانت مكونة من مقطع واحد أو مقطعين مألوفين له.

ولعل مما يمكن الاستئناس به أن بعضاً من كلمات اللغة ذات المقطع الواحد مازال يحمل رزماً دلالية متنوعة ، كحروف المعانى وبعض أسماء الأفعال ، وصار أكثرها بمثابة الآلة التى يحتاج إليها غيرها ، كما أن صورتها الثابتة الجامدة دالة على استغراقها فى القدم

فكانت بمثابة الأساس الذى ينهض عليه غيره ، ولهذا قلت عن باقى أقسام الكلام ، مع أنها - كما يقول فاخر المخزومى - أكثرها فى الاستعمال.[٦٨]

وقد ذكر الأستاذ "الرافعى" أن هذا المقطع الواحد لازال موجودا فى اللغة الأكادية وقال: "فإنهم يدلون بلفظة لاتعد وهجاء واحدا على خمسة عشر معنى ، فلفظة "جا" أو "كا" يدلون بها على الفم والوجه والعين والأذن والشكل والقدم والنظر والتكلم والمدنية . . .[٦٩]

واللغة العربية خاصه بمثل هذا " فالجر مثلا - وهى كلمة ذات مقطع واحد - تذكر لها المعاجم أكثر من معنى ، فهى: الجذب ، وأصل الجبل ، والوهدة من الأرض ، وجحر الضبع ، والزبيل - القفة أو الوعاء - وشىء يتخذ من سلاخة عرقوب البعير ، وحبل يشد فى أداة القدان - أى الثور - والسوق الرويد ، وأن ترعى الإبل وتسير ، أو أن تركب ناقة وتتركها ترعى ، وشق لسان الفصيل لئلا يرتضع ، وأن تجر الناقة ولدها بعد تمام السنة . . . [٧٠]

وحين أرى أن اللغة الأولى أحادية المقطع ، فإن هذا أسلم مما ذهب إليه بعض الباحثين ، فالشيخ " العلايلى " يرى أن الدور الأول للغة بدأ مع المقطع البسيط أى أدنى المقاطع وهو ذو الهجاء الواحد ، مثل "أ" ويرى أن هذا الدور ولد المقاطع الأحادية والتى هى الجدول الهجائى الفينيقى المتخيل ، فعنده أن بداية إستعمال اللغة كانت أحادية فى صورة أصوات وحروف منفصلة ذات دلالات قديمة ، ثم تطورت هذه المقاطع الأحادية إلى ثنائية وثلاثية . . . [٧١]

والقائلون بالثنائية - كالأب مرمرجى الدمنكى وجورجى زيدان - يرون أن الثنائية كانت وفيرة فى وقت ما من عهود اللغة إذا لم تكن هى الأصل ، والجذور الثلاثية ترتد إلى الجذور الثنائية . . . فالثلاثية لم تكن إلا وسيلة لتنويع المادة اللغوية . . .[٧٢]

وإذا أيد كلا الرأيين مذهبهما بأمثلة من اللغات السامية - ومنها العربية - فالأفضل والأسلم أن يطلق المقطع ولا يقيد لا بصوت أحادى ولا ثنائى إذ قد يكون هذا المقطع ثلاثياً ، وهو موجود فى العربية حال الوقف على الكلمات الثلاثية ساكنة الوسط ، والقسم المبنى - فى عرف النحاة - الذى على ثلاثة أصوات أوسطها ساكن ، مثل جير أمس حيث منذ أين كيف ، وحركة البناء على أواخرها أصلها - كما قال النحاة - السكون ، وحرك بحركة مناسبة لعلة .[٧٣]

كما أن قسما من الألفاظ فى العربية على سبيل المثال يوصف بالجمود - كليس وعسى وغيرهما - ومن العبث البحث لمثل ذلك عن أصل أحادى أو ثنائى ، وربما وجدنا من الألفاظ الثلاثية ما يدل على صوت ، أى يدل على حكاية صوتية طبيعية ، ومن ذلك: الفيق: صوت الدجاج ، والركز الصوت الخفى ، والضبح: صوت يسمع من أفواه الخيل ليس بصهيل ولا حمحمة . . . الخ ، ثم إذا كان للعربية أصول أحادية الصوت أو ثنائيته ، فهل هذا دليل كاف لجعل اللغات كلها على نفس النمط ويكون الأصل الأول على هذا النحو؟ إن أسلم ما أراه أن نردد خلف "ابن جنى" رحمه الله: "إن لكل لغة أصولا وأوائل قد تخفى عنا وتقصر أسبابها دوننا . . [٧٤] ، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

د/ ربيع محمد مصطفى صادومه.

سادساً: مراجع البحث

١ـ "الدكتور" إبراهيم أنيس

أـ الأصوات اللغوية :[طبعة الأنجلو المصرية

ـ الخامسة ـ ١٩٧٥م ـ

بـ ـ دلالة الألفاظ:[طبعة الأنجلو المصرية

ـ الخامسة ـ ١٩٨٤م ـ

٢ـ ابن الأثير " ضياء الدين نصر الله بن محمد "

أـ المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر

ـ طبعة القاهرة ـ الأولى ـ ١٩٣٥م.

٣ـ ابن جنى " أبو الفتوح عثمان "

أـ الخصائص: طبعة عالم الكتب / بيروت

ـالثالثة ـ١٩٨٣م تحقيق الشيخ محمد على النجار

٤ـ ابن خلدون " عبد الرحمن "

أـ المقدمة :[طبعة دار الشعب بالقاهرة

ـ بدون تاريخ ـ

٥ـ ابن سيده " أبو الحسن على بن اسماعيل "

أـ المخصص: تحقيق لجنة إحياء التراث العربى

/ بيروت ـ بدون تاريخ.

٦ـ ابن عبد البر " أبو عمر يوسف "

أـ جامع بيان العلم . . .:[بيروت ـ ١٩٧٨م

٧- ابن عقيل "بهاء الدين عبد الله العقيلى "
أ- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ،
ومعه حاشية العلامة السجاعى: بدون تاريخ

٨- ابن فارس "أبو الحسن أحمد بن زكريا"
أ- الصاحبى " فى فقه اللغة وسنن العرب
فى كلامها " القاهرة / ١٩١٠م

٩- إسرائيل ولفنسون.
أ- تاريخ اللغات السامية: طبعة بيروت
/ الأولى / ١٩٨٠م

١٠- يرجشتراسر.
أ- التطور النحوى اللغة العربية:
طبعة القاهرة /١٩٨٢م

١١- بيتر فارب
أ- بنو الإنسان: ترجمة زهير الكومى
/ طبعة الكويت / ١٩٨٣م

١٢- الجاحظ "أبو عثمان عمر بن بحر"
أ- البيان والتبين: طبعة بيروت /بدون تاريخ

١٣- جان جاك روسو:
أ- محاولة فى أصل اللغات: تعريب محمد محجوب
/ طبعة العراق / ١٩٨٤م

١٤- " الدكتور " جواد على
أ- [المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام]:
طبعة بيروت / ١٩٧٦م

١٥- جورجى زيدان
أ- الفلسفة اللغوية :[طبعة بيروت/الأولى/١٩٨٢م]

١٦- الحملاوى
أ- زهر الربيع فى المعانى والبيان والبديع
طبعة الحلبى بالقاهرة / السابقة ١٩٧١

١٧- الخبيصى " عبد الله بن فضل الله "
أ- التذهيب على شرح التهذيب / طبعة القاهرة
/ بدون تاريخ.

١٨- الرافعى " مصطفى صادق "
أ- تاريخ آداب العرب :
طبعة بيروت / الرابعة / ١٩٧٤م

١٩- "الدكتور" ربيع محمد مصطفى صادومه
أ- السهولة والاقتصاد فى النطق اللغوى بين فكر
القدماء وآراء المحدثين رسالة دكتوراة للباحث:
مخطوطه بكلية اللغة العربية بالقاهرة ١٩٨٨م

٢٠- رمزى بعلبكى:
أ- الكتابة العربية والسامية: طبعت بيروت
/ الأولى ١٩٨١م

٢١- "الدكتور" زكريا إبراهيم.
أ- مشكلة الحياة "طبعة القاهرة" الأولى /١٩٧١م

٢٢- "الدكتور" زكريا ميشال.
أ- علم اللغة الحديث / المبادىء والأعلام
/ طبعة بيروت / الثانية ١٩٨٣م

٢٣- زكى صالح.
أ- الخط العربى: طبعة القاهرة/ ١٩٨٣م

٢٤- [السيوطيى] جلال الدين عبد الرحمن
أ- المزهر . . .[طبعة القاهرة / الثالثة / بدون تاريج

٢٥- شمس الدين آق بلوت
أ- نظرية التطور . .[ترجمة أورخان محمد على
/ طبعة القاهرة / بدون تاريخ

٢٦- عبد الحق فاضل.
أ- مغامرات لغوية [طبعة بيروت/ بدون تاريخ.

٢٧- [العلايلى] الشيخ عبد الله
أ- مقدمة لدرس لغة العرب[طبعة القاهرة/١٩٣٦م]

٢٨- [الدكتور] على وافى
أ- علم اللغة[طبعة القاهرة/السابقة/ بدون تاريخ
ب- نشأة اللغة عند الإنسان والطفل:
[طبعة القاهرة/ بدون تاريخ

٢٩- فردينان دوسوسير.
أ- دروس فى الألسنية العامة [تعريب
صالح القرماوى وآخرين / ليبيا / ١٩٨٥م

٣٠- فندريس
أ- اللغة [ترجمة الدواخلى والقصاص /
الأنجلو المصرية بالقاهرة ١٩٥٠م

٣١- [الفيروزبادى]
أ- القاموس المحيط: [الحلبى / القاهرة/١٩٦٤م]

٣٢- كارل بروكلمان.
أ- فقه اللغات السامية: [ترجمة
د/ رمضان عبد التواب السعودية / ١٩٧٧م]

٣٣- ماريوباى
أ- أسس علم اللغة: [ترجمة د/ أحمد مختار عمر
/ طبعة القاهرة / الثانية / ١٩٨٣م

٣٤- [المبرد] أبو العباس محمد بن يزيد
أ- الكامل فى اللغة والأدب/طبعة القاهرة/بدون تاريخ

٣٥- "الدكتور" محمود السعران
أ- علم اللغة مقدمة للقارىء العربى
/ دار الفكر العربى بالقاهرة /١٩٦٢م

٣٦- مرمرجى الدومنكى.
أ- المعجمية العربية على ضوء الثنائية
والألسنية السامية / طبعة بيروت ١٩٥٠م

٣٧- نعيم علوية.
أ- بحوث لسانية بين نحو الفكر ونحو اللسان
/ بيروت / الأولى / ١٩٨٤م

الهـــوامش

١- مقدمة ابن خلدون /ص ٣٧٥ وما بعدها.

٢- انظر الخط العربى / لزكى صالح / ص ٢٩.

٣- انظر ما نقله السيوطى من ذلك فى المزهر ١/ ٣٠

٤- انظر د/إبراهيم أنيس فى كتابه الأصوات اللغوية /ص١١

٥- انظر علم اللغة د/محمود السعران / ص ٦٥ ، وانظر أسس علم اللغة / لماريوباى/ص٧٩

٦- انظر زهر الربيع . . . للشيخ الحمالاوى/ ص ١٢٢

٧- سورة البلد / آية / ٨ ، ٩

٨- تيصرف: انظر بنو الإنسان / بيترفارب /ص / ترجمة زهير الكومى.

٩- محاولة فى أصل اللغات / روسو / ص ٥٣ ترجمة الأستاذ محمد محجوب.

١٠- انظر المزهر / للسيوطى ١/٨ وما بعدها.

١١- انظر علم اللغة د/ على وافى /ص٩٧.

١٢- الخصائص /١/٤٤

١٣- الصاحبى /لابن فارس / ص٦.

١٤- انظر / علم اللغة د/ على وافى / ص٩٨

١٥- الخصائص ١/٤٦

١٦- انظر علم اللغة د/ على وافى ص ١٠٥

١٧- انظر لجاك روسو محاولة فى أصل اللغات ص ٣٤
تعريب /محمد محجوب

١٨- انظر له محاولة فى أصل اللغات ص ٧٢

١٩- السابــق
٢٠- انظر التطور النحوى لبرجشتراسر ص٩٧
٢١- البيان والتبين ١/٤٣
٢٢- انظر رسالة الدكتوراة للكاتب / السهولة والاقتصاد فى النطق /ص٦٤
٢٣- المقدمة ص ٥٢٧
٢٤- انظر أسس علم اللغة لمايوباى ص٣٨
٢٥- انظر دلالة الألفاظ د/ إبراهيم أنيس ص ٢٢
٢٦- انظر له دروس فى الألسنه العامة ص١١٣ تعريب/ صالح القرماوى وآخرين
٢٧- انظر المخصص ١/٢ تحقيق لجنة إحياء التراث
٢٨- انظر أسس علم اللغة لماريوباى ص٦٥ ترجمة أحمد مختار عمر.
٢٩- انظر قاموس المورد البعلبكى
Mordern - ARA - ENG.. dictionary.
٣٠- انظر جامع بيان العلم . . . لابن عبد البر ص٥٣
٣١- السابق.
٣٢- انظر الكامل للمبرد ١/٢٣٠ / ط دار العهد الجديد.
٣٣- انظر القاموس المحيط
مادة : ق ط ر ، ح ف ل ، ذ ى ع ، د ر ج .
٣٤- المرجع السابق.
٣٥- انظر الخط العربى / زكى صالح / ص١٦
٣٦- انظر الرسم فى كتاب / الكتابة العربية والسامية للأستاذ/ رمزى بعلبكى / ٧٠
٣٧- مقدمة ابن خلدون ص ٣٧٥
٣٨- د/ إبراهيم أنيس فى الأصوات اللغوية ص ١١

٣٩- انظر نظرية التطور لشمس الدين آق بلوت
/ ص ٨ وما بعدها ترجمة أورخان علي .
٤٠- انظر أسس علم اللغة / ماريوباي ٣٩
٤١- انظر بحوث لسانية / نعيم علوية / ٨٠
٤٢- انظر / تاريخ آداب العرب / للرافعي ١/ ٥٨
٤٣- البيان والتبين ١/ ٤٤
٤٤- انظر نشأة اللغة عند الإنسان والطفل د/ علي وافي /١٤
٤٥- انظر مشكلة الحياة د/ زكريا إبراهيم / ٨١
٤٦- انظر التذهيب على شرح التهذيب/ عبيد الله الحنبيصي/ص٥٠
٤٧- بنو الإنسان / بيترفارب / ص ٨
٤٨- انظر المزهر / للسيوطي ١/ ٢٨
٤٩- المثل الثائر / لابن الأثير / ص٧٣
٥٠- سورة إبراهيم آية ٤
٥١- انظر / الجامع لأحكام القرآن . . . للقرطبي ٥/ ٣٥٦٩
٥٢- انظر / تاريخ العرب قبل الإسلام د/ جواد علي ١/ ١٤٨
وانظر فقه اللغات السامية لبروكلمان ص ١٢
ترجمة د/ رمضان عبد التواب
٥٣- انظر / برجشتراسر / التطور النحوي ص ٢٣
وانظر / ولفنسون / في تاريخ اللغات السامية / ص١٥ وما بعدها
٥٤- صاحب الرأي وصاحب الكتاب هو /
الأستاذ العراقي / عبد الحق فاضل.
٥٥- انظر تاريخ اللغات السامية / ص ١٧
٥٦- انظر / مغامرات لغوية / للأستاذ عبد الحق فاضل ص ١٧٠
وما بعدها.
٥٧- ويلاحظنا أنه لا يمكن لنا أن نحددكم من القرون أو السنين
مرت على هذا الأصل المجهول حتى هذا الطور المعلوم.

٥٨- دروس فى الألسنية العامة / ص٢٨٧ وما بعدها

٥٩- البيان والتبين ١/ ٢٠

٦٠- انظر / بنو الإنسان / بيترفارب ص ٣٦

٦١- انظر علم اللغة مقدمة للقارىء العربى د/ محمود السعران ص٢١٣

٦٢- انظر / اللغة / لفندريس ص ٦٥

٦٣- انظر د/ على وافى / فى نشأة اللغة عند الإنسان والطفل/ص٥١

٦٤- انظر / بنو الإنسان / بيترفارب ص ٣٠

٦٥- الخصائص ٢/ ٢٨

٦٦- انظر دلالة الألفاظ د/ إبراهيم أنيس ص ٣٢ ، وانظر الألسنية / المبادئ والأعلام ص ٢٧٧

٦٧- دلالة الألفاظ نفس الصفحة وما بعدها

٦٨- المخصص لابن سيده الأندلسى ١٤ / ٤٤

٦٩- انظر تاريخ آداب العرب / للرافعى ١/ ٦٣

٧٠- انظر القاموس المحيط / مادة: ج ر ر .

٧١- انظر مقدمة لدراسة لغة العرب / للشيخ العلايلى ص ٢٣

٧٢- انظر المعجمية العربية / للدومنكى / ص ٦ وأنظر الفلسفة اللغوية / لجورجى زيدان ص ٩٨

٧٣- انظر حاشية السجاعى على شرح ابن عقيل ص ٢٠

٧٤- الخصائص ١/ ٥٦٤.